

Prof. Dr. Mehmet Görmez
İslâm Düşünce Enstitüsü Başkanı

Zor Zamanlarda Ramazan | Oruç ve Özgürlük
30 Nisan 2020 | İDE | Ankara

شهر رمضان في الأزمنة العصيبة (الصوم والإرادة)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

إخواني الأعزاء،

نحن في شهر رمضان المبارك. أيامه معدودة. لقد مضى أسبوعًا.

يأتي رمضان كل عام بالنعمة والرحمات والبركات التي لا تُعد ولا تُحصى.

يأتي رمضان كل عام لينفخ في روحنا ويعطينا حياة جديدة.

يأتي ليجلب لنا الفرح والسعادة والإطمئنان.

ولكنه أتى هذه السنة وقلب كل واحدٍ منّا يعتصر من الحزن والألم.

نعم نفتقد أشياء كثيرة مما تعودنا عليه من رمضان كل عام.

نعم نفتقد الكثير هذا العام.

بل وربمت لأول مرة يأتي رمضان ونحن في نمكث ببيوتنا في العزل الصحي.

محاصرون و محبوسون.

إلا أن لرمضان هذه السنة سحرٌ خاص ونعمة عظيمة لأن لدبية القدرة ليجعل من حزننا فرحًا، ومن حرماننا رحمةً، ومن حبسنا في بيوتنا محاسبةً لأنفسنا.

يكفيينا فقط أن نترك أنفسنا وأرواحنا له وبين يديه.

يكفيينا أن نترك أنفسنا للمناخ القرآني الذي يضعنا به وأن نمثّل للهدى والمنهج الذي حدده لنا القرآن والسنة.

إخواني الأكارم،

رمضان هو مدرسة إعداد إلهية أعدت للمؤمنين لمدة شهر واحد.

فهو كالمدرسة و الجامعة.

والوقت الذي أختير للمدرسة هذه هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن.

"شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن"

فالقرآن بقلب رمضان.

ولهذه المدرسة الإلهية برنامج رباني عظيم وغاية سامية.

هناك مكافأة أخرى في منهاج هذه المدرسة بخلاف القرآن؛ ألا وهي الصوم وهو سر بين العبد وربه.

"الصوم لي وأنا أجزي به"

هناك أيضاً فرحة أخرى بهذا البرنامج؛ يكون فيها الصائم أقرب لربه.

لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرِحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرَحٌ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحٌ"

وهناك أيضاً بركة السحور.

"تسحرو فإن في السحور بركة"

وهناك التراويح التي بها راحة واطمئنان.

وقراءة القرآن التي تعطي السلام الروحي.

وأيضاً يوجد بهذا البرنامج إنفاق وصدقات.

لهذا ينبغي أن نكون جوادين كالرياح المحملة بالرحمات.

قال صلى الله عليه وسلم "أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"

يحتوي هذا البرنامج الرباني وهذه المدرسة الرمضانية أيضاً على صدقة الفطر التي تؤدي عن البدن .

وهناك ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وخير من عمرٍ بأكمله ، ربما لا تُدرّكها عيوننا ولكنها لا تخفى عن قلوبنا.

في هذه المدرسة الرمضانية هناك ثواب للقراءة وصبرٌ على الإمساك وسكونٌ وارتياح يصاحب الإعتكاف.

صوم النهار وقيام الليل.

إخواني الأكارم،

الصوم في هذه المدرسة الربانية ليس صوم و إمساك عن الطعام فقط.

بل هو صوم للعين واللسان والأذن أيضاً.

وصوم للعقل والقلب.

فالصوم ليس مجرد تبديل لأوقات الطعام ومواعيد الوجبات.
 في هذا البرنامج الرباني لا مكان للتشائم. ولا للكذب ولا الإفتراء.
 لا يوجد غيبة ولا نميمة. ولا همز ولا لمز.
 ليس هناك كسر للخواطر. لا يوجد قلب يكسر في هذا البرنامج.
 فكسر الخواطر يُعادل هدم الكعبة.
 لا تؤكل أكلة حرام في هذه المدرسة.
 لا ينام الشخص بطنه ممتلئة وجاره جائع.
 ليس هناك وقت فراغ في هذه المدرسة.
 ولا وجود لأشياء لا طائل من ورائها.
 ليست هناك ضغينة تُفسد وتدمر القلوب.
 وليس هناك غضب يتسبب في قسوة القلب وزوال رفته.
 ولا وجود لانتقام تشغل به القلوب.
 ليس هناك ذلك الكبر وتلك الغطرسة ولا العل والغش.
 ليس هناك هوس الثروة والشهرة.
 ولا وجود لتلك الأنانية التي لا ترى الآخر.
 في هذه المدرسة الرمضانية لا تُردُ الإساءة بالإساءة ولا يُرد العنف بالعنف وقت صيامنا. نقول فقط كما علمنا رسولنا
 الكريم "إني صائم" وينتهي الموقف.
 إخواني الأفاضل،

مع ظهور الثورة الرقمية أصبحت هناك شاشات افتراضية نرى بها العالم.
 وتحولنا جميعًا إلى مشاهدين ومتفرجين سلبيين أمام هذا العالم الافتراضي.
 وأصبحنا جميعًا محبوسين ومُكَنَّفِي الأيدي أمام هيمنة الإدراك البصري.
 وعندما نصبح أسيري هذه الهيمنة يَضَعُف إدراكنا العقلي ويموت جسنا القلبي.
 دعونا ندرك ذلك في مناخ الرحمة الرمضاني هذا ونحن نحاول إحياء أرواحنا.
 ومن ناحية أخرى فبالرغم من مكوثنا في بيوتنا في ظل هذه الظروف العصيبة التي نمر بها إلا أننا ما زلنا نواصل إيذاء
 بعضنا البعض من وراء الشاشات.

ينبغي أن تصوم ألسنتنا وأيدينا أيضاً. وألا ننخدع من الواقع الافتراضي هذا وننغمس في شهوة الكلمة والكلمات.

وألا نجرح قلوب بعضنا البعض ونحن نستخدم لوحات المفاتيح الخاصة بنا.

دعونا نُظهر أننا أمة الإسلام التي تتحرى كل كلمة تقولها، وأنها أمة نبي "الكلمة الطيبة صدقة".

إخواني الأعزاء،

هذه المدرسة تُدكرنا بكل ما نسيناه. وتساعدنا على إيجاد ما فقدناه.

قال تعالى " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ "

أعظم ضعف لدى الإنسان هو آفة النسيان.

وأعظم تمرد وعصيان للإنسان حصل عن طريق النسيان.

ينسى الإنسان نفسه فينسى ربه.

ينسى أهله وولده.

لهذا يأتي شهر رمضان الكريم ليُذكرنا بكل ما نسينا.

ما هي أكبر خسارة للإنسان؟

أكبر خسارة للإنسان هي فقدان المعنى.

فقدانه لسبب وجوده ومعناه والحكمة منه.

لذلك فإن رمضان يأتينا كل عام ليُكسبنا هذا المعنى وهذه الحكمة من جديد.

إخواني الأعزاء،

الهدف والغاية الأسمى من المدرسة الرمضانية هذه هي الحرية.

منح الإنسان إرادة حرة.

الحرية هي تلك الإرادة التي حُمِلت للإنسان و أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها.

قال تعالى " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ "

لذلك كان الهدف الأسمى من المدرسة الرمضانية هو تحرير الإنسان نفسه من أسر الرغبات والشهوات وتزكيتها وجعله صاحب إرادة حرة.

قسّم علماء الإسلام الحرية إلى ثلاثة أقسام:

الحرية الجسمانية والبدنية - 1

الحرية السياسية والمدنية - 2 الحرية الأخلاقية والوجدانية - 3

فالحرية الجسدية والبدنية هي استعمال أجسادنا وذريتنا وفق ما نريد دون مواجهة أي صعوبات أو عوائق.

ونحن محرومون من جزء كبير من هذا في الوقت الحاضر.

ثانياً: الحرية السياسية والمدنية وهي أنه لدينا جميع الحقوق التي حصلنا عليها منذ أن وُلدنا أو ما بعدها واستعمالها
كيفما نريد بكل حرية.

ثالثاً: الحرية الأخلاقية والوجدانية وتعني حرية الإرادة.

هي عدم انصياع الإنسان لرغبات نفسه.

فحرية الفكر وحرية الوجدان هي جزء مهم جداً من هذه الحرية.

وترتيب الأهمية في هذه الحريات الثلاثة يبدأ من الآخر للأول.

باختصار، لن تتحقق الحرية السياسية والمدنية بدون الحرية الأخلاقية والوجدانية.

وبدون الحرية السياسية والمدنية نخسر الحرية الجسدية والبدنية.

وبناءً على هذا؛ فإنَّ هناك أشخاص يتجولون في الشوارع والأزقة بحرية ولكنهم ليسوا أحراراً.

فيوسفٌ حرٌّ في سجنه بينما فرعون أسيرٌ في قصره.

إخواني الأكارم،

يبدو أن خطر المرض سلب جزءاً من حريتنا في ظل تلك الأوقات العصبية.

ومع ذلك فإن أصعب الحجر (الإنغلاق، الانعزال) هو انغلاق القلوب والأفئدة.

أي انغلاق القلوب وإمسакها عن فعل الخيرات.

وأقسى الأسر هو أن تصبح القلوب مأسورة ومقيدة ومحبوسة عن الخير والجمال.

وأشد الحصار ليس حصار أبداننا في البيوت وإنما انحصار وانحباس أرواحنا داخل أجسادنا.

لذلك كانت الغاية الأسمى والأعظم من المدرسة الرمضانية هي رفع هذا الحصار عن قلوبنا وأفئدتنا وأرواحنا.

إخواني الأكارم،

يبدو أنه ليس هناك وضع محزن ومؤسف نعيشه. فرمضان هذا العام لنا بالكامل.

فقد تحولت بيوتنا هذا العام لمدرسة رمضان.

وأتاحت لنا الفرصة لنُحوّل بيوتنا لمعابد ومحاريب.

شهر رمضان هذا العام حوّل الكرة الأرضية بأسرها إلى مصلى واحد.

دعونا نبحت عن طرق لنحول هذا الحرمان وهذا الفقد إلى رحمة.

ولنملئ وحدتنا في البيوت هذا العام بالأجواء الرمضانية.

دعونا نحول مُحاصرتنا في البيوت إلى محاسبة لأنفسنا.
ونحاسب أنفسنا قبل يوم الحساب كما قال عمر بين الخطاب (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

أخواني الأكارم،

دعونا نُخصص كل يوم وقت معين وساعة معينة نقضيها مع عائلتنا.

نؤدي فيها عبادتنا سويًا. نصلي التراويح معًا.

نقرأ القرآن والسير والحديث ونقرأ كل شيء يساعدنا في فهم وجود الإنسان والوحي.

نخصص وقت للتفكير والدعاء أيضًا.

وأخص وقت بالدعاء هو وقت الإفطار.

فأقرب وقت يكون فيه العبد من ربه هو لحظة السجدة وقت الفطور.

إخواني الأكارم،

أود أن أختم كلامي بدعائين فيهما كلمة رمضان.

أسأل الله باسمه الشافي أن يتنزل علينا برحمته ويشفي الأمة البشرية من جميع الأوبئة والميكروبات التي تحيطها في ظل هذه الأونة العصبية وأن يُحول هذا الفيروس إلى رماد، وأن يهطل علينا سيول رحمة الشفاء كأمطار الربيع .

دعونا ألا ننسى الآية الكريمة " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا". فبذور المنح هي بذورٌ مزروعة في حقول المحن.

وأدعو الله أن يجعل رحمت رمضان سببًا في شفاءنا نحن والأمة البشرية جمعاء وأن يبلغنا العيد بوجوه نقيه وقلوب طاهرة.

نسأل الله أن يجعل هذا الشهر الكريم سببًا في تغذية أرواحنا واعدادها ، ونسأله أن ينيّر قلوبنا بنوره وخاصة قلوب الشباب.

وَأَنْ يَتْرِكَ أَثْرًا طَيِّبًا فِي قُلُوبِنَا وَأَفْنَدْتِنَا.

وَاللَّهُمَّ بِرَمَضَانَ ابْعِدْنَا عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَلِّغْنَا الْعِيدَ بِوَجْهِهِ طَاهِرَةٍ وَقُلُوبَنَا خَاشِعَةً تَخْشَاكَ.

اسْتُوْدِعْكُمْ اللَّهُ. وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ.

